نعي إلكتروني

ميرا الكعبي ❖

هل حقّاً تموت؟

بالأمس جاءني نبأُ موتِكَ كعاصفةٍ من وهج. لكنْ، حتى الصباح، كان هاتفُك الجوّالُ ما يزال يرنّ ويرنّ ويرنّ، وأنا على الضفّة الأخرى من خيوط القمر أُصلّي كي تردّ!

حتى لو كنتَ قد مُتَّ، كما يزعمون، فَلِمَ لا تُجيب؟ تحدَّثْ معي فقط لثوانٍ، ثم ارحلْ كما تشاء، كي أقولَ لك كلمةً نسيتُ أن أخبركَ إيّاها بالأمس بالأمس، كنتُ أهاتفكَ «تصبح على خير،» ومازال صوتُكَ بتلك الرعشة الخجول والبحّة الخافتة قلتُ لك «نسيتُ أن أخبرَكَ شيئًا.» سألتَني: «ما هو؟» فشاكستُ بخبثٍ أنثوي. «لن أخبرك الآن. في الغد أخبرك، حين نلتقي »

ـ وإنْ لم نلتقِ في الغد؟

ضحكتُ وقلتُ بعناد:

ـ سلنتقي بعد غد

لكنكَ أصررتَ بعنادٍ مضادٍّ كعادتك

ـ وإذا لم نلتقِ بعد غد؟

ـ نلتقي بعد بعد غد

ـ وإذا لم...؟

ـ بل بعد بعد بعد بعد غد؟

واستمرّت سلسلةُ «بعد» طويلةً، حتى اختفى صوتُكَ كما جاء. ظننتُ أنّ هاتفك قد لفظ نَفَسَه الأخير، أَوَتَذْكُر هاتفَك الجوّالَ العتيق، وبريدَكَ الإلكترونيَّ المزدحم، ومكتبكَ المزدحمَ دومًا بالأوراق؟

لكنْ، في صباح اليوم التالي، فاجأني نبأُ وفاتك كعاصفة من وهج لم أصدِّق، وكيف أصدِّق وقد كنتُ معك؟! لذا هاتفتُكَ مرارًا ومرارًا، وظلّ الهاتفُ يرنّ.

ولكنّك لا تردّ، ولا أحد يردّ سوى الصمت.

❖ ❖ ❖

أيُّها الصامتُ منذ الأزل، أيُّها السرمدي، ما أصعبَ افتقادَك!

لكنّني لم أستسلمْ، ولجأتُ في حالةِ يأسٍ إلى بريدك الإلكتروني، وبعثتُ إليكَ بالكثير من الرسائل، أمنّي النفسَ بأن تصلكَ حيث أنت غير أنّ الرسائل كانت تعود إليّ وتخبرني بأنّ الصندوق مزدحِم! أَوَيَزْدحمُ صندوقُ بريدك الوارد، حتى وأنتَ هنالك؟! إذنْ . لعلّكَ تسمعُ دقّاتِ قلبي النابضةَ مع دقّات الهاتف الجوّال

هل يحدث أن نموت حقّاً؟ ولماذا لا تموت معنا الهواتفُ والأرقام؟ والرسائلُ والبريد؟! لماذا يظلّ البريدُ معلّقًا في فضاءٍ ما؟ ولماذا، حتى بعد موتك، تظلّ الفواتيرُ التي تصل معنونةً باسمك؟

أَوَتَموتُ؟ وكيف لا تموتُ كلُّ الأشياء المتصلة بك؟

❖ ـ كاتبة شابة من المملكة العربيّة السعوديّة

مازلتُ أبعثُ إليك بالرسائل، كلَّ ليلة، أبعث لك برسالة «تصبح على خير،» وأتساءل إنْ كان يُمْكن أن أتّصلَ بك فقط لثوانٍ، كي أخبركَ بكلمةٍ نسيتُ البوحَ بها لك. نسيت أن أخبرك تلك الليلة أنّي أحبُّك

❖ ❖ ❖

مَرَّ أسبوع الآن. هل تغيَّر عنوانُكَ، يا ترى؟ هل لي أن أبعَث لك بإيميل؟ أوْ بوست كارد؟ أو على أقل تقدير sms حينما أشتاقُ إليك؟! كيف يَحْدث أن تختفي هكذا، دون أن تُعْلِمَني بموعدِ رحيلك، وعنوانِك الجديد؟!

لكنْ إلى أين ترحل؟

❖ ❖ ❖

مرّ شهر منذ أن زعموا موتَك، لكنّني مازلت كلَّما أفتح ذاكرةَ الهاتف الجوّال، أجد كلَّ رسائلك! وعلى الرفّ مازالت أشياؤك. نظّارتُك، كتبُك، مستنداتُك، معجونُ الحلاقة، فرشاةُ الأسنان، رسائلُكَ، بقايا شخبطاتك، وحكاياتٌ كنتَ ترويها لي عنكَ قبل أن أنام، ووردةٌ أهديتَها لي قبل عام

❖ ❖ ❖

مرّ شهران. صرتُ أعرف أنّك متَّ لكنّني مازلتُ كلَّما أخذني الشوقُ إليك، أهاتِفك، و«أُماسِجُك،» وأبعثُ إليكِ برسائل إلكترونية كثيرة. أؤمن أنّكَ في فضاءٍ ما، ونحن هنا في فضاءٍ إلكتروني. أتراك اختفيتَ في صفحةٍ ما، نقلتَ كلَّ أحلامك ومضيت؟

ولكنْ إلى أين؟

❖ ❖ ❖

هذا المساء حبستُ أنفاسي. دقّاتُ قلبي ارتعشتْ دقّاتُ روحي ارتبكتْ أصبحتُ بلا جاذبية، حينما فاجأني اسمُكَ يضيء في هاتفي الجوّال، تحت عبارة «يتّصل بك»!! انتفضتُ بالبكاء. كيف تتصل وأنت ميت؟! استحالةٌ أن تتصل! لماذا تعود الآن كي تتصل بعد كلّ هذا الوقت؟ أنت قد مُتَّ، أنت قد رحلتَ مستحيل أن تكون وصلتْك رسائلي! لماذا تعود الآن؟

حبستُ أنفاسي. أمسكتُ الهاتفَ، وأجبتُ جاءني صوتٌ غريب:

ـ آلو... آلو .

ـ نعم؟

ـ هل يمتّ لكِ هذا الهاتفُ بصِلَة؟

ـ ....

ـ لقد أزعَجَنا هذا الهاتفُ الذي كان يرنُّ باستمرارٍ في شارعنا اليومَ اكتشفْنا السرَّ، حينما عثرنا عليه مصادفةً خلف إحدى العربات كم أزعجنا! تعالوا خذوه!

الدّمام